٤٠١

العتبة العباسية المقدسة

الكفيل

السنة التاسعة

الخميس ٢١/ ٣/ ٢٠١٣ م

٨/ جمادى الأولى / ١٤٣٤هـ

أسبوعية ثقافية يصدرها قسم الشؤون الفكرية والثقافية / شعبة الإعلام / وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة

د. إحسان الغريفي

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ...﴾ (البقرة: ١٨٩)

إنَّ سبب نزول الآية هو أنَّ معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة سألا النبي(ص)، فقالا: ما بال الهلال يبدو دقيقاً كالخيط، ثم يزيد حتَّى يستوى، ثُمَّ لا يزال ينقص حتَّى يعود كما بدأ؟

وقيل: إنَّ اليهود سألوا النبيﷺ: لمَ خُلِقَتْ هذه الأهلّة؟ فأخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ والأَهِلَّة جمع هلال، ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله لهم: ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ والمواقيت جمع ميقات، وهو مقدار من الزمان، وهو يطلق على الزمان الموقَّتْ والمكان الموقَّتْ، فالأَهِلَّة هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ ﴿وَالحَجِّ﴾ أي معالم يوقَّتُ بها الناس.

فما يحصل عليها من تغييرات منتظمة تدريجيّة، يجعل منها تقويماً طبيعياً يساعد الناس على تنظيم أُمورهم الحياتية القائمة على التوقيت وتحديد الزمن، وكذلك على تنظيم أُمور عباداتهم المحدّدة بزمان معيّن كالحجّ والصوم، والهلال هو المرجع في تعيين هذا الزمان.

وقال بعض المفسرين: إنّ السؤال عن الأسباب والتغييرات هي مواضيع علمية ليست ذات فائدة للسائل، ولعلّ فهم الجواب سيكون عسيراً على أذهانهم، فلهذا بيّن القرآن النتائج المترتبّة على تغييرات الهلال ليتعلّم الناس التوجه دوماً صوب النتائج، وبمناسبة الحديث عن الحجّ وتعيين موسمه بواسطة الهلال أشار القرآن إلى إحدى عادات الجاهليَّة، وهي أنَّهم كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ولكنهم كانوا ينقبون في ظهور بيوتهم نقباً يدخلون ويخرجون منه فنهوا عنها بقوله: ﴿وَلَيْسَ البِرُّ﴾ أي الطاعة والتديّن ﴿بِأَنْ تَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ المعاصي ﴿وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ فإن الإتيان من الظهور بعنوان الدين بدعة غير جائز ﴿وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تظفرون بالفلاح.

عصمة العقيلة زينب عليها السلام / ٢

إعداد/ منير الحزامي

بيّنا في العدد الماضي معنى العصمة لغةً واصطلاحاً، وأنها تنقسم إلى قسمين:

١- العصمة الذاتية أو (الكلية)، وهي مختصّة بالأنبياء والأئمة وفاطمة الزهراء عليها السلام.

٢- العصمة الأفعالية الكسبية أو (الجزئية)، التي لم يرتكب أصحابها الذنوب والمعاصي في أفعالهم.

وبينا أيضاً أن لهذه العصمة مراتب متعددة، نال أعلى مراتبها بعض أبناء المعصومين؛ كالسيدة زينب عليها السلام، ونال من درجاتها بعض علماء الطائفة.. كما نُقل عن بعضهم أنه ما فعل شيئاً هوته نفسه قط، وأن بعضهم قضى صلاته طيلة حياته ثلاث مرّات، مع أنّه من مراجع الدين، وما كان ذلك إلاّ لشدّة احتياطه وورعه.

ولكن ليست عصمة العلماء كعصمة السيدة زينب عليها السلام؛ لأنّ العصمة الأفعالية التي لزينب عليها السلام في أعلى مراتبها.. ومن حيث الإمكان العقلي يمكن لغير زينب عليها السلام الوصول إلى رتبتها، أمّا من حيث الإمكان الوقوعي لم يقع هذا؛ لاختلاف ظروف زينب الكبرى عليها السلام واختلاف مربّيها ومعلّميها، فهي تالي المعصوم عليه السلام، كما ورد في الزيارة.

وهذا ما أكّده الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «عجبتُ لمن يحبّ الله كيف يعصيه»، فالمحبّ لله تعالى لا يعصي الله سبحانه ولا يفعل ما يؤثّر على هذه العلاقة مع ربّه ومولاه ومحبوبه. كما أنّه ورد: «ثمرة العلم العصمة»، فكلّما ازداد الإنسانُ علماً نافعاً وعملاً صالحاً ازداد عصمة وورعاً عن المعاصي والذنوب والآثام والقبائح.

ومثل زينب الحوراء عليها السلام التي وصلت إلى مقام الفناء في الله، كما يشهد لها قولُها في جواب ابن زياد اللعين: كيف رأيتِ صنعَ الله؟ فقالت عليها السلام: «ما رأيتُ إلاّ جميلاً».. ولا يقول هذا إلاّ العارف الفاني في إرادة الله وحبّه، فترى شهادة إخوتها الكرام من الله صُنعاً جميلاً، وإن كان من بني أُميّة ويزيد الطاغية ظلماً وعدواناً، فمثلها كيف لا تكون معصومة؟

(عصمة الحوراء زينب عليها السلام: السيد عادل العلوي)

قيس بن سعد بن عُبادة

د. إحسان الغريفي

من نبلاء الشيعة الأوائل الَّذين ثبتوا على وصية رسول الله ﷺ ولم ينقلبوا على أعقابهم الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة الأنصاري الخزرجي الساعدي، يُكنَّى: أبا الفضل. وقيل: أبا عبد الله، وأمه فكيهة بنت عبيد بن دليم بن حارثة، كان من فضلاء الصحابة، وأحد دهاة العرب وكرمائهم، وكان من ذوي الرأي الصائب والمكيدة في الحرب، مع النجدة والشجاعة، وكان شريف قومه، ومن بيت سادتهم.

مشاهده:

شارك رضي الله عنه في حروب النبي ﷺ ضدّ الكفار والمشركين؛ قال ابن الأثير في الاستيعاب: (قال ابن شهاب: كان قيس بن سعد يحمل راية الأنصار مع النبي ﷺ). وفي كتاب الكنى والألقاب: (أنَّ رسول الله ﷺ أعطاه الراية يوم فتح مكة). وصحح بعض علمائنا هذا القول فقد قال الشيخ عباس القمي: (كان يحمل لواء رسول الله ﷺ في بعض مغازيه)، ثم إنه صحب الإمام عليّاً عليه السلام لما بويع له بالخلافة، ولم يفارقه فشهد معه حروب الجمل وصفين والنهروان.

مناصبه:

كان والياً على مصر من قبل أمير المؤمنين عليه السلام لفترة من الزمن، ثم رجع إلى الكوفة ليقاتل مع صفوف جيشه عليه السلام، وكان على شرطة الخميس فلم يزل معه، ثمَّ بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام كان قيس على مقدمة جيش الإمام الحسن عليه السلام بالمدائن.

أقوال علمائنا في حقه:

يقول عنه العلامة الحلي رحمه الله في خلاصة الأقوال: (من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وهو مشكور، لم يبايع أبا بكر).

وقال السيد الخوئي رحمه الله في معجمه: (عدَّه البرقي في آخر رجاله من المنكرين على أبي بكر، وهم اثنا عشر رجلاً، وقال: ثم قام قيس بن سعد بن عبادة، فقال: يا معشر قريش قد علم خياركم أنَّ أهل بيت رسول الله ﷺ أحق بمكانه في سبق سابقة وحسن عناء، وقد جعل الله هذا الأمر لعليٍّ بمحضر منكم وسماع أذنيكم، فلا ترجعوا ضلالاً فتنقلبوا خاسرين).

وقال عنه التفريشي في كتابه نقد الرجال: من أصحاب الرسول ﷺ وعلي والحسن عليهما السلام.

من أشعاره:

أنشأ قيس بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام، بعد رجوعه من حرب الجمل في قصيدته المرتجلة التي أولها:

قلت لما بغى العدو علينا
حسبنا ربنا ونعم الوكيل
وعليٌّ إمامنا وإمام
لسوانا أتى به التـــنزيل
يوم قال النبي مَن كنت مولاه
فهذا مولاه خطبٌ جليل
إنَّما قاله النبيّ على الأمة
حـــتم ما فيــه قال وقيل

وفاته رضي الله عنه:

قال ابن سعد في طبقاته: (ولم يزل قيس بن سعد مع عليٍّ حتَّى قُتِلَ عليّ عليه السلام، فصار مع الحسن بن عليٍّ عليه السلام، فوجّهه على مقدمته يريد الشام، ثمَّ صالح الحسن بن عليّ معاوية فرجع قيس إلى المدينة، فلم يزل بها حتَّى توفي في آخر خلافة معاوية). وقال ابن الأثير في أسد الغابة: توفي في سنة ٥٩هـ، وقيل ٦٠هـ.

السؤال: كيف نعرف مَن هم أهل الخبرة لنسألهم عن المجتهد الأعلم؟ وكيف نصل إليهم لنسألهم ونحن بعيدون عن الحوزات العلمية، وعن الشرق كله؟ فهل من حلّ يسهّل علينا الأمر فنعرف بواسطته مَن نقلّد؟

الجواب: أهل الخبرة بالأعلمية هم (المجتهدون) ومَن يدانيهم في العلم، المطّلعون على مستويات مَن هم في أطراف شبهة الأعلمية في أهم ما يلاحظ فيها، وهي أمور ثلاثة:

- الأول: العلم بطرق إثبات صدور الرواية، والدخيل فيه: علم الرجال وعلم الحديث بما له من الشؤون كمعرفة الكتب، ومعرفة الرواية المدسوسة بالاطلاع على دواعي الوضع، ومعرفة النسخ المختلفة، وتمييز الأصح عن غيره، والخلط الواقع أحياناً بين متن الحديث وكلام المصنفين ونحو ذلك.

- الثاني: فهم المراد من النص بتشخيص القوانين العامة للمحاورة، وخصوص طريقة الأئمة عليهم السلام في بيان الأحكام، ولعلم الأصول والعلوم الأدبية والاطلاع على أقوال من عاصرهم من فقهاء العامة دخالة ثابتة في ذلك.

- الثالث: استقامة النظر في مرحلة تفريع الفروع على الأصول، وطريق الاطلاع بعد البحث والمذاكرة معهم أو الرجوع إلى مؤلفاتهم أو تقريرات محاضراتهم الفقهية والأصولية.

والمكلف الباحث عن الأعلم إذا لم يمكنه التعرف على أهل الخبرة بنفسه، فيمكنه -بحسب الغالب- أن يتعرف عليهم عن طريق من يعرفه من رجال الدين وغيرهم من الموثوق بهم وبدرايتهم، والبعد المكاني لا يشكل عائقاً عن الاتصال بهم في هذا العصر الذي تتوفر فيه الكثير من وسائل الاتصال السهلة والسريعة.

السؤال: هل يجوز للزوجة والتي تستصعب البحث عن الأعلم أن تعتمد على زوجها في ذلك فتفعل كما يفعل هو اعتماداً منها عليه؟ وكذلك الفتاة اعتماداً منها على أبويها؟

الجواب: يجوز إذا حصل لها الاطمئنان بذلك.

السؤال: إذا شك المقلد أنه حينما كان مقلداً للميت الأعلم أنه كان مميزاً في حياة المرجع أولاً؟

الجواب: يرجع إلى الأعلم الحي حينئذٍ.

السؤال: هل تجيزون لي العدول إلى غيركم وأنا أعتقد بأعلميتكم؟

الجواب: العدول في التقليد له مناشئه الشرعية، ولا علاقة له بالإجازة بل يجب تقليد الأعلم الحي.

السؤال: هل يجب الاستمرار في التقليد للمرجع السيد ابو القاسم الخوئي رحمه الله؟

الجواب: يجب البقاء على تقليده رحمه الله على من قلّده في حياته مستنداً في ذلك إلى ثبوت أعلميته، إلاّ إذا ثبت له شرعاً أعلمية المرجع الحي.

البراءة من أعداء الله

د.إحسان الغريفي

ذكرنا في الحلقة السابقة الأحاديث الصحيحة الّتي بينت أنَّ حبَّ عليٍّ عليه السلام إيمان وأنَّ بغضه نفاق، ونذكر هنا شبهة ابن تيمية التي حاول فيها التقليل من شأن أمير المؤمنين عليه السلام وأنَّ هذا الحديث عامٌّ في الأنصار فقال ابن تيمية في منهاج السنَّة:

قول عليٍّ رضي الله عنه في هذا الحديث: «لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»، ليس من خصائصه بل قد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار»، وقال: «لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر»، وقال: «لا يحبُّ الأنصار إلّا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق» (١).

وقال أيضاً:

الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: «إنه لعهد النبي الأمي إليّ أنه لا يحبني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق» إن كان هذا محفوظاً ثابتاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله، فإن الرافضة لا تحبه على ما هو عليه... إنه في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «آية الإيمان حبّ الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار»، وقال: «لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر»، فكان معرفة المنافقين في لحنهم ببغض الأنصار أولى، فإن هذه الأحاديث أصح مما يروى عن عليٍّ أنَّه قال: «إنه لعهد النبي الأمي إليّ أنه لا يحبني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق»، فإن هذا من إفراد مسلم وهو من رواية عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن عليٍّ، والبخاري عن هذا الحديث بخلاف أحاديث الأنصار، فإنها مما اتفق عليه أهل الصحيح كلهم البخاري وغيره، وأهل العلم يعلمون يقيناً أن النبي قاله وحديث عليّ قد شك فيه بعضهم (٢).

الجواب:

كلام ابن تيمية هذا يدل على الصراع النفسي الّذي يعانيه ابن تيمية، فمن جهة يريد تضعيف الحديث الّذي رواه مسلم، فيقول: (إن كان هذا محفوظا ثابتاً عن النبي صلى الله عليه وآله)، وفي موضع آخر قال أيضاً: (فإن هذا من إفراد مسلم)، وقال أيضاً: (و حديث عليّ قد شك فيه بعضهم)، ويجد نفسه أنَّه سيكون أمام خيار صعب وهو تكذيب مسلم، وهذا الأمر يهدم مذهبه، فيسارع إلى تلافي الخطأ فيعترف بصحة مضمون الحديث، وذلك عندما يقول: « ولا ريب أن مَن حبَّ عليّاً لله بما يستحقه من المحبة لله فذلك من الدليل على إيمانه، وكذلك من أحبَّ الأنصار لأنَّهم نصروا الله ورسوله فذلك من علامات إيمانه، ومن أبغض عليّاً والأنصار لما فيهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله فهو منافق... (٣).

فهذا إقرار من ابن تيمية على صحة هذا الحديث، فلماذا كلّ هذه الحيرة والتخبّط، والتَّشكيك عندما يتعلق الأمر بعليّ عليه السلام؟!

والجواب على ذلك بديهيّ لأنّ هذا الأمر يخص معاوية، فهذا الحديث يثبت نفاق معاوية الّذي أبغض علياً عليه السلام، فلذا ذهب ابن تيمية يلتمس لمعاوية الأعذار ويرفع من شأنه، فأخذ يكذّب النبي صلى الله عليه وآله، ويضعّف من حديثه كرامة وثأراً لمعاوية!.

والمتتبع لأقوال ابن تيمية يشعر بعمق البغض الّذي يكنه ابن تيمية لعليّ عليه السلام، فلا أحد يستطيع أن ينكر هذا الحديث الصحيح الّذي قال بصحته علماء الوهابية؛ ومن رواه الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني بسنده عَنْ زرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ لاَ يُحِبُّنِي إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضُنِي إِلاَّ مُنَافِقٌ» (٤).

وقال عنه الألباني: صحيح.

وروى أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري قال: إنما كُنَّا نعرف منافقي الأنصار ببغضهم علياً (٥).

وسنذكر في الحلقة القادمة مزيد من الأحاديث الّتي تبيِّن وجوب البراءة من مبغضي عليّ عليه السلام.

المراجع:

(١) منهاج السنة النبوية: ٤/ ١٣٥.

(٢) و (٣) نفس المصدر: ٧/ ٨٣.

(٤) سنن ابن ماجة: ٣٢ (باب فضائل أصحاب رسول الله(ص) ح١١٤).

(٥) فضائل الصحابة: ٢/ ٥٧٩ (فضائل علي عليه السلام ح٩٧٩).

النصيحة

إعداد / الشيخ ميثم القريشي

النصيحة من الأخلاقيات التي تمسك بها أنبياء الله تعالى تمسكاً شديداً، فكانوا لا يتركون النصح لأقوامهم على الرغم مما لاقوه منهم من الأذى والتنكيل.. مع أن الأنبياء ليس عليهم إلا التبليغ الذي يقيم الحجة على الناس.. وقد حث الإسلام على أن يكون الفرد المسلم ناصحاً في جميع حركات الحياة.. والنصيحة على أقسام:

القسم الأول:- النصيحة لله

جاء في الحديث القدسي: «أحب ما تعبَّد لي به عبدي، النصح لي»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «عليكم بالنصح لله في خلقه، فلن تلقاه بعمل أفضل منه» (ميزان الحكمة: ج١٠).

القسم الثاني:- النصيحة للخلق

عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إنَّ أعظمَ الناس منزلةً عند الله يومَ القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه» (ميزان الحكمة: ج١٠).

وعن الصادق عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن يحق عليه نصيحته».

القسم الثالث:- النصيحة للنفس

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه». وقال أيضاً: «مَن نصح نفسه كان جديراً بنصح غيره» (ميزان الحكمة: ج١٠/ ص٣٧٠).

وقد جمع النبي صلى الله عليه وآله هذه الأقسام حيث قال: «مَن لم يُصبح ويُمسِ ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم» (ميزان الحكمة: ج١٠/ ص٣٦٦)..

إلّا أن للناصح علامات يُعرف بها، فمع فقدان هذه العلامات لا تؤخذ نصيحته، فعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أما علامة الناصح فأربعة: يقضي بالحق، ويعطي الحق من نفسه، ويرضى للناس ما يرضاه لنفسه، ولا يعتدي على أحد» (ميزان الحكمة: ج١٠/ ص٣٦٨).

وهذا الدرس نأخذه من أبي الفضل العباس عليه السلام، فقد جاء في زيارته على لسان الإمام الصادق عليه السلام: «أَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصْدِيقِ وَالوَفَاءِ وَالنَّصِيحَةِ لِخَلَفِ النَّبِيِّ المُرْسَلِ، وَالسِّبْطِ المُنْتَجَبِ».. وإنَّ وصفه بالناصح في زيارته قد تكرر عدة مرات، مما يكشف عن شدة نصحه وتخلقه بهذا الخلق العظيم.. فتقرأ: «وَأَشْهَدُ اللَّهَ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى ما مَضَى عَلَيهِ البَدْرِيُّونَ، المُجاهِدُونَ في سَبِيلِ اللَّهِ، المُناصِحُونَ لَهُ في جِهادِ أَعدائِه».

وجاء أيضاً: «أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بالَغْتَ في النَّصِيحَةِ».

وجاء أيضاً: «أَشْهَدُ لَقَدْ نَصَحْتَ لله وَلِرَسُولِه وَلأَخِيكَ».

وأبو الفضل عليه السلام كان ناصحاً واعظاً حتى للأعداء في كربلاء، وكان يأمر إخوته بأن يكونوا ناصحين لله ولرسوله، كما جاء في الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله: «فلما رأى العبّاس بن عليّ عليه السلام كثرة القتلى في أهله قال لإخوته...: يا بني أُمّي، تقدّموا حتّى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله...».

وصايا الطاهرين عليهم السلام

من وصية مولانا الإمام السجاد عليه السلام إلى ولده الباقر عليه السلام:

يا بني، أنظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق...

إياك ومصاحبة الكذاب؛ فإنه بمنزلة السراب يقرّب لك البعيد ويبعّد لك القريب.

وإياك ومصاحبة الفاسق؛ فإنه بايعك بأكلة أو أقل من ذلك.

وإيـاك ومصاحبة البخيل؛ فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه.

وإيـاك ومصاحبة الأحمق؛ فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

وإيـاك ومصاحبة القاطع لرحمه؛ فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله عز وجل.

(الكافي، للكليني(ره): ٢/ ٨٦٠)

(وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ)

قال تعالى:

﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: ٣)

البراءة -في اللّغة- بمعنى القطع، والسلامة من المرض، والبري: الذي خلق الخلق، والبرية: الخلق، وبري: إذا تخلص، وبري: إذا تنزّه وتباعد، وبري: إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (التوبة: ١)، أي إعذار وإنذار.

والقدر الجامع بينها هو: المقاطعة بوجه من الوجوه المتيسّرة.

ومقتضى الاعتقاد بالإمامة الشرعية الالتزام بلوازمها، ومن ذلك الوفاء بعهد الإمامة من العمل بالثوابت الإسلامية القائمة عليها، ومجانبة النفاق في العقيدة، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً﴾ (النحل: ٩١).

فإن الثقة أساس الحياة الاجتماعية السعيدة، وتُناط سعادة الأفراد والأمم بدرجة الثقة بأقوالهم وأعمالهم ومواعيدهم وعهودهم، وقد تكررت كلمة الميثاق في القرآن بمعنى العهد الذي يجب الوفاء به على الإنسان، لأن العهود والمواثيق تعتبر الوسائل السلميّة لحلّ الخلافات والمنازعات بين الأفراد والأمم والدول.

وقد احترم الإسلام كافة المعاهدات التي ارتبط بها بما يحفظ مصلحة الإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء: ٣٤). بل يعتبر القرآن نقض العهد ضعفاً وذلّة وحقارة نفسية، كالمرأة التي تنفش غزلها بعد إحكامه، كما ورد في سورة النحل، الآية ٩١. بل يؤكّد على أن نقض العهد خروج عن حقيقة الإنسانية، بقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ (الأنفال: ٥٥، ٥٦).

والموقف تجاه من لا يلتزم بالثوابت الإسلامية في حياته هو المقاطعة حتّى يتحقق الرجوع اليها بالتوبة والالتزام بها عملياً، ولا يكون ذلك إلاّ بالبراءة من أعداء الله، لأن الايمان هو الاعتقاد بالجَنان والقول باللسان والعمل بالأركان، ولا يمكن التفريق بينها، لأنّها سلسلة مترابطة بها قوام الإسلام، والتفريق بينها إنّما هو نفاق ونقض للعهد، وقد هدّد الله سبحانه لمن يمارس ذلك بقوله: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (التوبة: ١٢).

الواصفات القرآنية لإمام الهدى

إعداد/ السيد محمد العطار

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا، وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٧١، ٧٢)

إن المستفاد من تفسير الآيتين أن الإمام المقصود يجب أن تتوفر فيه الصفات التي تؤهله للاحتجاج به على قومه يوم القيامة مثل القدرة على الهداية والأهلية لأن يكون اتّباعه موصلاً للهدى وتكون طاعته معبّرةً عن طاعة الله تبارك وتعالى، وأن يكون قادراً على معرفة حقائق أعمال الناس وليس ظواهرها، أي أن يكون هادياً لقومه وشهيداً على أعمالهم، الأمر الذي يستلزم أن يكون قادراً على تلقي الهداية الإلهية وحفظها ونقلها للناس، كما يجب أن يكون أهلاً لأن يتفضل عليه الله عزّ وجلّ بعلم الكتاب والأسباب التي تؤهله لمعرفة حقائق أعمال الناس للشهادة بشأنها والاحتجاج به عليهم يوم القيامة.

كما ينبغي أن يكون متحلياً بأعلى درجات العدالة والتُّقى لكي لا يخلّ بأمانة نقل الهداية الإلهية إلى قومه، وكذلك لكي لا يحيف في شهادته عليهم يوم القيامة. أي أن يتحلى بدرجة عالية من العصمة، وهذا ما صرّح به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤).

فالإمامة (عهد) من الله تبارك وتعالى لا ينال من تلبس بظلم مطلقاً، ومعلومٌ أن ارتكاب المعاصي مصداق من مصاديق الظلم؛ لذا فالمؤهل للإمامة يجب أن يكون معصوماً.

وحيث إن الله تعالى قد أقرَّ طلب خليله إبراهيم النبي عليه السلام في جعل الإمامة في ذريته ولم يقيّدها إلاّ بأنها لا تنال غير المعصومين، نفهم أن الذرية الإبراهيمية لا تخلو من متأهل للإمامة إلى يوم القيامة، وهذا ما يؤكده قوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الزخرف: ٢٨)

ولما كانت الإمامة عهداً إلهياً، كان الإمام مختاراً لها من الله عزّ وجلّ -وهو الأعلم حيث يجعل رسالته- وهذا ما تؤكده الآيات الكريمة فقد نسبت جعل الإمام إلى الله مباشرة ولم تنسبه لغيره كما هو واضحٌ في الآيتين من سورتي الزخرف والبقرة وغيرهما. ويتحقق هذا الاختيار الإلهي لشخص معيّن للإمامة من خلال النص الصادر من ينابيع الوحي -القرآن والسنة- أو مَن ثبتت إمامته وعصمته، أو ظهور المعجزات الخارقة للعادة على يديه حيث تثبت صحة ادعائه الإمامة.

إذن فإمام زماننا عليه السلام الذي دلّت آيتا سورة الإسراء على حتمية وجوده يجب أن يكون هادياً لقومه وشهيداً على أعمالهم ليصح الاحتجاج به يوم القيامة، وأن يكون معصوماً أو على الأقل متحليّاً بدرجة عالية من العدالة تؤهله للقيام بمهمته في الهداية والشهادة؛ ومن الذرية الإبراهيمية التي ثبت بقاء الإمامة فيها، وأن يكون منصوصاً عليه من قبل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أو مَن ثبتت إمامته، أو أن يكون قد ظهرت على يديه من المعجزات وأثبتت ارتباطه بالسماء وصحة ادعائه الإمامة.

تنبيه: تحتوي النشرة على أسماء الله تعالى والمعصومين عليهم السلام، فالرجاء عدم إلقائها على الأرض. كما ننوه بأنه لا يجوز شرعاً لمس تلك الكلمات المقدسة إلا بعد الوضوء والكون على الطهارة.

الكفيل
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٣٢٠ لسنة ٢٠٠٩
زورونا على الموقع www.alkafeel.net . راسلونا على nashra@alkafeel.net
تحرير: السيد محمد العطار / منير الحزامي
التدقيق اللغوي: مصطفى كامل الخفاجي
التصميم والإخراج: أحمد السيلاوي
دار الضياء للطباعة - النجف الأشرف
٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣